

ثلاثية عصور

للدكتور حامد طاهر

نحن نعيش حاليا فى عصر المصورة

وهذا العصر له ظروفه الخاصة ومتطلباته

وقد جاء بعد عصريّ ن تاريخيين وطويلين

هما عصر المشافهة ، وعصر الكتابة .

والملاحظ أن كلا منهما قد فقد الكثير من أهميته

التي كانت له فى الماضى ،

وهذه هى سنة التطور

أما عصر المشاهدة فكانت تجرى فيه

عمليات نقل الأخبار والمعلومات

إما وجهها لوجه

أو من خلال رواة ينقلون

ما يريدون حسب أهوائهم

وبهذا الأسلوب وصلت إلينا

معظم مواد الثقافة القديمة

بكل ما اشتملت عليه

من صواب وخطأ ،

أو زيف ومبالغة

[لكننا ينبغي أن نستثنى هنا علمي^٥

اخترعهما المسلمون اخترعا ،

وهما : علم مصطلح الحديث ،

وعلم الجرح والتعديل —

اللذان اشتملا على قواعد صارمة

لفحص كل ما ورد على السنة الرواة

وتصنيفه في درجات ،

وكذلك البحث الدقيق عن أحوالهم

من حيث الصدق والأمانة..الخ]

وبالنسبة إلى عصر الكتابة

فإنه قد منح الأخبار والمعلومات

قدرا كبيرا من الثبات ، وحماها من التلاعب

وهو الأمر الذي ساعدها على الاستمرار

لمئات بل لآلاف من السنوات

وقد بدأ عصر الكتابة بسيطا وساذجا

لكنه ما لبث أن تطور عبر القرون

من الكتابة المسمارية على ألواح الطين

إلى الكتابة الهيروغليفية على الحجر

ثم على الجلود والورق

وأخيرا اخترعت المطبعة

والمشكلة هنا أن الناس

قد استقبلوا (المكتوبات) بكل توقيير

ولم يتوقفوا كثيرا أمام سؤال بسيط :

من أين جاءت هذه المكتوبات ؟

ألم تأت هي الأخرى من أخبار ومعلومات شفوية !

يعنى هي أيضا معرضة لما تعرضت له سابقتها .

وأخيرا حل عصر الصورة الذي نعيشه الآن

وقد حسب الناس أنهم قد وضعوا أيديهم أخيرا

على الحقيقة الكاملة

فلا روايات شفوية زائفة أو مموهة

ولم مؤلفات كاذبة أو مبالغ فيها

ولكنها الرؤية المباشرة ، والمشاهدة المؤكدة

إنّ كيف لنا أصدق بوجودك وأنت تتحدث إلىّ ؟!

وكيف أنكر الحادث الذى وقع لك

وأنا أرى الدم يتساقط من جسدك ؟!

ومن خلف المشهد .. كانت تكنولوجيا التصوير

تتطور على نحو فائق السرعة ..

وأساليب المونتاج تتقدم وتتعدد ..

والفن السينمائى يرينا الأشخاص والأحداث

بصورة لم تحدث من قبل ..

بل راح المتلاعب فى تركيبه المشهد ، وشكل الشخص

يظهر على غير حقيقته !

ومع الوقت ..

بدأنا نذكر أننا قد أصبحنا ضحايا خدعة أخرى

فى عصر الصورة ،

لنا نقل مكررا وتحايلا عن الخداع

الذى سبق أن تعرضنا له

فى عصرى المشافهة ، والمكتابة !
